منهج القاضي عياض في إكمال المعلم بفوائد مسلم

د. فائزة أحمد سالم بافرَج*

مقـــدمة:

الحمد لله الذي أنعم علينا بالإسلام، وأكرمنا بالمصطفى العدنان، وأسبغ علينا نعمه بأن جعلنا من خير أمة أخرجت للناس، والصلاة والسلام على خير الأنام، محمد بن عبد الله خاتم الأنبياء وعلى آله وصحبه ومن والاه. وبعـــــد!

فإن الله أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، وأنزل عليه الوحي المتلو وغير المتلو لإخراج الناس من الظلمات إلى النور، وأقام رسوله ﷺ بينه وبين عباده مقام البيان لوحيه وتنزيله، لقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾[١]، فبين النبي ﷺ ما أنزل من ربه أكمل بيان، بقوله، وفعله وسيرته، هداية للخلق، وإقامة للحجة، وبياناً للمحجة، وكان كما قال تعالى ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى ۞ إِنْ هُوَ إِلا وَحْيٌ يُوحَى﴾[٢]، وكما قال ﷺ «ألا إني أُوتيت القرآن ومثله معه»[٣].

ومن دأب أمة محمد ﷺ الاهتمام بمصادر تشريعها، فعُنيت بمصادر السنة جمعاً ودراسة، وشرحاً وفقهاً وتصنيفاً، وقد اهتم علماء السلف بصحيحي الشيخين (البخاري ومسلم)، وقد

---

*جامعة أم القرى، فرع الكتاب والسنة، كلية الدعوة وأصول الدين، مكة المكرمة. dr.bafaraj@hotmail.com

٢ سورة النحل آية (٤٤).

٣ سورة النجم آية (٣-٤).

٤ من حديث المقدام بن معد يكرب، أخرجه أحمد في **مسنده** المحقق (٨٥٢/٥) وقال الساعتي المحقق إسناده جيد (انظر **الفتح الرباني** ١٩٢/١)، وأخرجه أبو داود في **سننه** (١٩٩/٤)كتاب الأطعمة باب لزوم السنة حديث رقم (٤٦٠٦).

تلقت الأمة هذه الكتب بالقبول، و(صحيح مسلم) عند أهل المغرب مقدم على صحيح البخاري، لذا كانت عنايتهم به فائقة، وكان القاضي عياض أحد العلماء المغاربة الذين أولو عنايتهم لصحيح مسلم بالشرح والتفصيل، وبيان كل القضايا المتعلقة بالأحاديث الواردة فيه، من غريب وفقه وعقيدة وتاريخ وتفسير ونحوه، لذا يُعد كتابه موسوعة في شرح الحديث لما احتواه من علوم متنوعة في فنون مختلفة، ولما سلك فيه من منهج علمي أكاديمي في التوثيق والعزو إلى المصادر الأصيلة، والاستفادة من علماء الأئمة الأعلام ممن سبقه أو عاصره، فكان كتابه (إكمال المعلم بفوائد مسلم) حيث أكمل كتاب شيخه المازري المسمى بـ(المعلم)، وأضاف ما يراه ضرورياً لإكمال الفائدة، وذلك ما صرح به في مقدمة كتابه؛ بقوله: [ورأيت أن إفراد كتاب لذلك يقطع عن الكتاب (المُعْلِم) وما ضمَّنه غير موف بالغرض،وإن تأليف كتاب جامع لشرحه لا معنى له، مع ما قد تقرر في (المُعْلِم) من فوائد جمَّة لا تضاهى، ونكت مُتْفَنَة، وقف عندها حسن التأليف وتناهى ... فاستتب الرأي بعد استخارة الله تعالى، وسلوك سبيلِ العدل والإنصاف، أن يكون ما يذكر من ذلك كالتذييل لتمامه؛ والصلة لإكمال كلامه، فنبدأ بما قاله – ﷺ – ونضيف إليه ما استتب وتوالى، فإذا جاءت الزيادة فصّلناها بالإضافة إلينا إلى أن ننتهي منها، ثم عطفنا على سوق ما يليه من قوله، ويتطارد الكلام بيننا نُوباً بقوة الله وحوله][1].

هذا ولأهمية الكتاب، باعتباره من أول ما صنف في شرح الحديث شرحاً مفصلاً، ولما كان لمصنفه من باع طويل في علوم متنوعة من علم الحديث رواية ودراية، وفي الفقه وأصوله والعقيدة والرد على المخالفين لمنهج أهل السنة والجماعة، فالكتاب قيم بما احتواه من نكت لطيفة، وفوائد عظيمة، وزيادات مفيدة تبدو لمن سبر غور هذا الكتاب.

ولما كان منهج القاضي عياض، منهجاً أكاديمياً يمتاز بالأمانة العلمية والصدق والإخلاص، والتوثيق العلمي، رأيت أن أبرز منهجه في كتابه لبيان أهميته، وللفت الأنظار إلى تداوله والرجوع إليه، إذ مما شاع بين طلبة العلم أنه ليس من شرح لصحيح مسلم إلا المنهاج للنووي، علماً بأن الإمام النووي رجع كثيراً لكلام القاضي عياض وخاصة في قضايا الاختلاف فيجعل قوله حَكَماً ويَعُده قول الفصل. كما أنه قد رجع إلى مصادر تعتبر مفقودة في هذا الزمن، وليس لها من ذكر إلا في كتابه. وجعلت خطة بحثي على النحو الآتي:

[1] انظر: **مقدمة القاضي في إكمال المعلم المطبوع** ص (٧١-٧٥).

المقدمة.

الباب الأول: عصر المصنف وحياته:

الفصل الأول: عصر المصنف:

المبحث الأول: الحالة السياسية.

المبحث الثاني: الحالة العلمية.

الفصل الثاني: حياة المصنف:

المبحث الأول: اسمه، نسبه، كنيته، مولده، نشأته ووفاته.

المبحث الثاني: شيوخه ورحلاته.

المبحث الثالث: تلاميذه.

المبحث الرابع: مذهبه الفقهي.

المبحث الخامس: مكانته العلمية وثناء العلماء عليه.

المبحث السادس: تأثره بمن سبقه وأثره فيمن بعده.

المبحث السابع: مناصبه.

المبحث الثامن: مصنفاته.

الباب الثاني: أهمية الكتاب ومنهج المصنف:

الفصل الأول: أهمية الكتاب:

المبحث الأول: اسم الكتاب وثبوت نسبته إلى مصنفه.

المبحث الثاني: وصف الكتاب والتعريف بمخطوطاته.

المبحث الثالث: أسباب تصنيف الكتاب.

المبحث الرابع: أهمية كتاب إكمال المعلم بفوائد مسلم.

المبحث الخامس: منزلة الكتاب من شروح مسلم.

المبحث السادس: أثر الكتاب في كتب شرح الحديث.

الفصل الثاني: منهج المصنف في كتابه:-

المبحث الأول: منهجه على وجه العموم.

المبحث الثاني: منهجه في شرح الحديث.

المبحث الثالث: منهجه في مسايرة موضوعية الحديث.

المبحث الرابع: منهجه في ذكر قواعد علوم الحديث

المبحث الخامس: منهجه في فقه الحديث.
المبحث السادس: منهجه في الاستفادة من المصادر.
المبحث السابع: مصادره.

الخاتمة.

فهرس المراجع والمصادر.

وقد بذلت فيه غاية جَهدي، وأقصى ما في وسعي، بعد الاستعانة بالله العلي القدير، وسؤاله أن يلهمني رشدي، ويعينني في إظهار جهود القاضي العلامة عياض اليَحْصُبِي بما يليق بعالم فذّ فاق علماء عصره، ويُعْتَدّ بقوله مدى الزمان عند أهل العلم والإيمان.

وختاماً فهذا جهد المقل في عصر تشتت فيه الهمم والأذهان، لعل الله يرفعني به درجة في الجنان، وأصلي وأسلم على خير من بعثه الله للأنام، وعلى زوجاته أمهات المؤمنين، وبناته الطاهرات، وأهل بيته ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

الباب الأول

عصر المصنف وحياته

الفصل الأول: عصر المصنف:

المبحث الأول: الحالة السياسية:

عاش القاضي عياض في الأندلس عصر المرابطين[1] والموحدين[2] في الدولة الأموية،بمدينتي غرناطة وقرطبة، ثم تحول إلى مراكش، وذلك لفساد أحوال البلاد[3].

فقد كثرت فيه الفتن والغارات على الأندلس، ومحاولات الانفصال عن الخلافة الأموية، مما أدى إلى وقوع حروب طاحنة إلى أن انفصلت الأندلس عن الخلافة بزعامة الدولة

---

[1] قامت في المغرب على أنقاض دولة بني عبيد، الذين بالغوا في تشيعهم، ولقي منهم المالكية كل العناء، ولما جاء المرابطون كانوا على منهج أهل السنة والجماعة،وتمسكوا بمذهب المالكية، ولذا وجدوا تأييداً من العلماء،وكان ملكهم (٧٠) عاماً. انظر: **البداية والنهاية** ١٨٧/١٢، **الذخيرة** ٩٤٤/٢.

[2] أسسها المهدي ابن تومرت عام ٥١٥هـ، ودامت إلى عام ٦٦٧هـ، أي قرناً ونصف القرن، امتدت من المحيط الأطلسي غرباً إلى طرابلس شرقاً، ومن الأندلس شمالاً إلى قلب الصحراء جنوباً. انظر **المهدي ابن تومرت** ص(٣٧٧)، **عصر المرابطين والموحدين** ص (٤٩).

[3] **الاحاطة في أخبار غرناطة** (٢٢٢/٤).

الحمودية[1] إلا أنه لم تستمر أمدا طويلا بل انقسمت إلى دويلات صغيرة في أيدي الأمراء، فانتهز العدو هذه الفرصة فاستولى على بعض المدن ودخل ثغور المسلمين، فلما رأى المسلمون ما حلّ بهم من العدو أجمعوا أمرهم على مواجهتهم ؛ وفي تلك الآونة كانت دولة (المرابطين) قد تكونت في المغرب بقيادة الأمير (ابن تاشفين)[2]، فتراسل الأمراء يطلبون النجدة من بعضهم، وتواترت الكتب والرسل ؛ حتى أجمعوا رأيهم على أن يترلوا على رأي الأمير (ابن تاشفين)، فقام الأمير من حينه لنصرة إخوانه فكانت وقعة (الزلاقة) سنة ٤٧٩هـ مع الأعداء وكتب الله النصر لهم على عدوهم[3]، ولم تمض فترة طويلة على هذا النصر إلا وظهرت خلافات بين الدولتين، وذلك حين بدا (لابن تاشفين) أن دولة الطوائف الأندلسية متخاذلة يسودها الخلاف والانحلال، فعزم على توحيد البلاد، وأصبحت الأندلس دولة مغربية، تحت سسيطرة (مراكش)، ونتج عن ذلك استتباب الأمور واستقرارها، ونشطت الحياة في مختلف مجالاتها، ولكن لم تستمر طويلاً، فقد قامت بعض الثورات في أنحاء البلاد ؛ ومن أهمها ثورة (ابن تومرت)[4] الذي ادعى أنه المهدي المنتظر، فقام بدعوة الإصلاح ؛ والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وسمى أتباعه (الموحدين)، وحصر الإيمان في أتباعه وتكفير من سواهم، ووضع (ابن تومرت) لأتباعه كتاباً في التوحيد وخلطه ببعض معتقدات الشيعة والخوارج[5]، وفرض عليهم حفظه. وأبطل تقليد الأئمة، وأنكر حجية القياس، وزاد في أذان الفجر (أصبح ولله الحمد).

وهكذا بدأت هذه الدولة بدعوة الإصلاح تمهيداً لما بعده، ثم تطورت فصارت دعوة سياسية، وقامت الحروب بين الفئتين، وكثرت الثورات داخل البلاد خاصة بعد وفاة (ابن

---

١ خلفت دولة بني أمية بالأندلس، ولم يطل أمدها حتى اقتسمها رؤساء الأندس. انظر **تاريخ الخلفاء للسيوطي** ص(٥٢٢)، **الاستقصاء لأخبار دولة المغرب** ٣٣/٢.

٢ هو يوسف بن تاشفين، مؤسس دولة المرابطين، وكان قد أبلى بلاء حسناً في جهاد النصارى بالأندلس، وانتصر عليهم في موقعة الزلاقة. انظر: **المهدي ابن تومرت** للنجار ص(٤١).

٣ انظر: **عصر المرابطين والموحدين** ص(٢٥).

٤ هو أبو عبد الله محمد بن عبدالله المغربي السنوسي، مؤسس الدولة الموحدية، توفي عام ٥٢٤هـ. انظر **المهدي ابن تومرت** ص (٢٣).

٥ الشيعة: هم فرقة من المسلمين تمسكوا بحق علي في الخلافةدون الشيخين وعثمان ﷺ وهم القسيم المقابل لأهل السنة والجماعة ويتطلعون إلى نشر مذهبهم ليعم العالم. انظر: **الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب** (٢٩٩). والخوارج: هم الذين خرجوا على علي بن أبي طالب ﷺ بسبب التحكيم،وهم سبع فرق يجمعهم الخروج على الأئمة، وتكفير أصحاب لكبائر، وانكار الأحكام الثابتة في السنن بزعم الاقتصار على القرآن. انظر: **الملل والنحل** ١١٤/١، **لوامع الأنوار البهية** (٨٦٨).

تاشفين) لمحاولة الخلاص من حكم المرابطين، وقام بعض أمراء المسلمين بالاستعانة بالنصارى في سبيل تحقيق رغبتهم في الاستقلال[1]، وسارع ملوك النصارى لنجدتهم لتحقيق مصالحهم في بلاد المسلمين،وتمهد لهم طريق الدخول إلى أراضيهم، ولما ضعف سلطان دولة المرابطين و لم تعد لهم قوة تجمع شتاتهم وتوقف خروجهم، انهارت دولتهم مما أدى إلى دخول بعض النصارى بلادهم، وعاثوا فساداً، وأخذوا في نشر الصليبية، وبدأت مضايقتهم للمسلمين، ولما تضرر المسلمين في الأندلس من ذلك، طلب علمائهم النجدة من (الموحدين) لإنقاذهم من سيطرة النصارى، وبذلك دخل الأندلس تحت حماية (الموحدين) واندثرت النزعة القومية، وبذلك توطدت أمور البلاد، واجتهد الحكام في ترسيخ قواعد الحكومة، وقامت الحركات الحضارية في البلاد فبنيت القصور والحصون والمساجد، واجتمع حول ساحة الموحدين العلماء الأعلام من المفسرين والمحدثين والفقهاء وغيرهم، وحشد الموحدون مملكتهم بالوزراء والكتاب والأطباء، وقامت النهضة الثقافية.

وفي ظل هذه الأحوال السياسية،عاش القاضي عياض، وأقبل على العلم، واهتم بطلبه، واجتهد في تحصيله، وتكونت لديه مادة علمية كبيرة في مختلف العلوم وضروبها.

عاصر القاضي عياض سلطان الدولتين (المرابطين) وحكامها (آل تاشفين)، ودولة (الموحدين) وزعيمها (ابن تومرت) وأميره (عبد المؤمن بن علي). وكان القاضي عياض من مؤيدي دولة (المرابطين) ويعتبرها دولة شرعية، فهو إذا ذكر (علي بن تاشفين) وصفه بأمير المؤمنين، وكان حكام المرابطين يحترمونه ويجلونه. ولما جاءت دولة (الموحدين) وكانوا على خلاف في العقيدة مع ما كان يدين به القاضي عياض، فالمهدي (ابن تومرت) يدين بالعصمة للإمام، والقاضي عياض لا يرى العصمة إلا للرسل صلوات الله وسلامه عليهم. وأصحاب المهدي يشوب اعتقادهم نزعة خارجية قد برئت منها عقيدة أهل السنة، ومن ثَمّ كان موقف القاضي عياض منهم محدداً واضحاً[2].

[1] انظر: المراجع السابقة.

[2] انظر: المراجع السابقة.

المبحث الثاني: الحالة العلمية:

كانت دعوة (المرابطين) تقوم على أسس شرعية إصلاحية، استمدت تعاليمها من الكتاب والسنة، لذا لم تتأثر الحركة العلمية بالثورات والاضطرابات في عهدهم، بل شجعوا العلماء وأكرموهم وقربوهم، وكانت مجالسهم تعجّ بالعلماء والفقهاء، وكان الأمراء لا يقطعون أمراً إلا بعد مشورتهم. وانتعشت الحركة العلمية، وأخذت حظاً من التقدم والازدهار، فظهر العباقرة المبدعون في المغرب، وكثرت المكتبات، وأصبحت المغرب وجهة طلبة العلم، ومقصد العلماء.

ولما جاءت دولة (الموحدين) فقد انتهجت منهجاً دينياً آخر، حيث توجه مؤسسها (ابن تومرت) إلى المشرق، واتصل بالفرق الكلامية والخوارج والشيعة، واستحسن طريقتهم في العقائد وألف كتاباً في التوحيد، وحمل الناس عليه وعلى اتباعه، وكفّر من خالف هواه، والتزم بمذهب المالكية في الفقه، ودعا إلى الكتاب والسنة، ثم جاء من بعده من ولاة الدولة من حاول القضاء على المذهب المالكي بمعاونة بعض أتباعه، وأمر بحرق كتب الفروع، وبالرجوع للكتاب والسنة وتظاهر بالمذهب الظاهري[1]. إلا أن بعض ولاة المسلمين لم يستسلموا لذلك، فقد جمعوا طلبة العلم من مختلف القبائل، وأنشأوا لهم مدرسة لتعليمهم العلوم الدينية وغيرها، مع تدريبهم على فنون القتال والإدارة، حتى إذا ما تمت دراستهم وزعوا على الوظائف اللائقة.

وقد عايش القاضي عياض هذه الأحداث، والاضطرابات، إلا أنها لم تؤثر في تكوينه العلمي، فهو بما وُصف به من العلم والذكاء،والفطنة وحب العلم، فقد نشأ في بلدة تعج بالعلماء من مختلف بقاع الأرض، وتمثل مركزاً علمياً يلتقي فيه حملة العلم من أهل المشرق والمغرب، وقد تربى في كنف أسرة فاضلة ثرية تُجلّ العلم والعلماء، وكان القاضي حريصاً على مجالسة العلماء، وتلقي العلم منهم مباشرة، وأكثر من ملازمتهم والاستفادة منهم إما سماعاً، أو مناقشة، أو مدارسة ومذاكرة، وقد قضى معظم تكوينه العلمي على أيدي علماء مدينة (سبتة)، ومن وفد إليها من العلماء، مقيماً أو عابراً.

ولم يكتف باللقيا والسماع في (سبتة) بل سافر للأندلس للقاء بعض علمائهم والاستفادة منهم بالمدارسة أو بمقابلة الأصول على أصحابها، وأخذ الإجازة منهم، وقد حظي باحترام

[1] يدعى منصور الموحدي من ولاة الدولة الموحدية فقد ضيق على أتباع المذهب المالكي. انظر: **الاستقصاء** ١٠٦/١-١٣٠، **المعجب** (١٧٢)، **سير أعلام النبلاء** (٥٥٧/١٧، ٥٤٨/١٩).

العلماء وطلبة العلم، ووجد القبول من جميع فئات المجتمع.

فقد اتسعت روايته، ونمت معارفه في مختلف العلوم وبخاصة في الحديث وعلومه، مما جعله مقصد طلبة العلم فيلقونه ويتلقون منه العلوم المتنوعة كما ورد في بيان أسباب تصنيفه للكتاب[1].

الفصل الثاني: حياة المصنف:

المبحث الأول:

اسمه ونسبه: هو الإمام الحافظ القاضي أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض بن عمرون بن موسى بن عياض بن محمد بن عبد الله بن موسى بن عياض اليحصبي – بفتح الياء وسكون الحاء وكسر الصاد وقيل ضمها وكسر الباء الموحدة –[2]. ينتسب إلى (يَحْصُب) وهي قبيلة من حميّر، سميت باسم جدهم يحصب بن مالك بن زيد بن سهل بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جشم بن عبد شمس بن وائل بن غوث، وينتسب إليها قوم كثيرون، نزل بعضهم بالشام، وبعضهم بمصر ، وبعضهم بالأندلس، وكان لأجداده بمدينة (فاس) في (المغرب) مكانة علمية وأدبية ظاهرة، مما جعل لهم نباهة في الذكر في تلك الأوساط.

كنيـــته: يكنى بـ(أبي الفضل) وإن لم يكن له ابن أو حفيد اسمه الفضل، وقد يكون من باب الثناء عليه وتكنيته بصفاته كما يقول الشاعر:

أبو الفضل يسعى إلى الفضل يافعاً فصار به يكنى وصار به يدعى[3]

مولده: ولد سنة ست وسبعين وأربعمائة من الهجرة (٤٧٦هـ) في منتصف شهر شعبان بسبتة[4].

نشأته: نشأ في (سبتة) في بيت علم ودين، وتربى في كنف أسرة ثرية مهتمة بالعلم وتلقى العلم على يد شيوخ وفقهاء (سبتة)، فبدأ بحفظ القرآن الكريم، ثم طلب الحديث والفقه وتتلمذ على أعلام (سبتة) وقتها. وكانت (سبتة) مغشى كثير من العلماء الذين يجتازون

---

[1] انظر: **الغنية** (٢٩)، **أزهار الرياض** ٧/٣، **أنباه الرواة** ٣٦٤/٢.

[2] انظر: **تذكرة الحفاظ** للذهبي ٩٦/٤، **الديباج المذهب** (١٦٨)، **النجوم الزاهرة** ٢٨٤/٥، **طبقات الحفاظ** للسيوطي (٤٦٨٩، **أزهار الرياض** ٢٣/١. **اللباب في تهذيب الأنساب** ٤٠٧/٣

[3] انظر: المراجع السابقة.

[4] انظر: **الديباج المذهب** (١٧٧)، **النجوم الزاهرة** ٨٧٤/٥، **التعريف بالقاضي عياض** (٥)، **أزهار الرياض** ٢٩/١. سبتة: مدينة قديمة سميت بذلك لأن أول من اختطها هو سبت بن سام بن نوح عليه السلام، وقيل: لانقطاعها في البحر، تقع على مضيق جبل طارق من ناحية المغرب،وفي ملتقى البحر الأبيض المتوسط مع المحيط الأطلسي. انظر: **معجم البلدان** ١٨٢/٣، **أزهار الرياض** ١٥٦/١.

بها،سواء الوارد من الأندلس للمغرب، أو القادم من المشرق إلى المغرب، وقد تتلمذ القاضي عياض على يد كثير من هؤلاء.

وعن نشأة القاضي عياض قال ابنه: [نشأ أبي على عفة وصيانة، مرضي الحال، محمود الأقوال والأفعال، موصوفاً بالنبل والفهم والحذق، طالباً للعلم، حريصاً عليه، مجتهداً في طلبه، معظماً عند الأشياخ من أهل العلم، وكثير المجالسة لهم، والاختلاف إليهم، إلى أن برع أهل زمانه وساد جملة أقرانه، وكان من حفاظ كتاب الله مع القراءة الحسنة، والصوت الجهير، والنغمة العذبة، والحظ الوافر في تفسيره][1].

ولما استوفى القاضي عياض الثلاثين من عمره، أصبح عالماً قد أخذ من كل فن بطرف، وهمّ بالرحلة في طلب العلم لسماع المزيد من الشيوخ الذين أخذ عن بعض تلاميذهم، ليسمع منهم بغير واسطة، طلباً لعلو السند، وتحقيق العلم [2].

وفـــاتـــه: أجمع المؤرخون لحياة القاضي عياض أنه توفي عام أربع وأربعين وخمسمائة من الهجرة ، يوم الجمعة السابع من جمادي الآخيرة.

واتفقوا على أنه توفي بمدينة (مراكش) في المغرب، ودفن بها بباب آيلان داخل مدينة مراكش، قال ابنه محمد: [دفن بباب أيلان داخل السور][3] رحمه الله تعالى.

المبحث الثاني: شيوخه ورحلاته:

صنف كتاباً في مشايخه وأخبارهم سماه (الغنية)[4] ذكر فيه نحواً من مائة شيخ ممن أخذ عنهم قراءة وسماعاً، ومناولة وإجازة، وممن كتب إليه ممن لقيهم .

وقد تلقى العلم من شيوخ أهل بلده (سبتة) مثل:

الفقيه أبو إسحاق بن الفاسي: قال عنه هو: [إبراهيم بن جعفر بن أحمد اللواتي يعرف بابن الفاسي، كان من أهل الفقه؛ والعلم؛ والمعرفة بالوثائق؛ والبصر بالأحكام؛ والتفنن في المعارف][5].

---

[1] **التعريف بالقاضي عياض** (٦)، وانظر: **أزهار الرياض** ٣/٧.

[2] انظر المراجع السابقة.

[3] انظر: **الصلة** ٢/٤٣٠، **أنباه الرواة** ٢/٣٦٤، **الديباج المذهب** (١٧١)، **التعريف بالقاضي عياض** (١٤)، **الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى** ٢/٢٠٦.

[4] **الغنية** كتاب مطبوع بتحقيق ماهر زهير جرار طبعة دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

[5] **الغنية** (١١٩)، **الديباج المذهب** ١/٨٥.

ومحمد بن عيسى التميمي: قال عنه في كتاب الغنية: [أجل شيوخ سبتة، ومقدم فقهائهم، لازمته كثيرا للمناظرة في المدونة والموطأ وسماع المصنفات][1].

كما تلقى العلم من العلماء الذين نزلوا (سبتة) في أسفارهم، مثل:

أبو بكر بن العربي: هو محمد بن عبد الله بن محمد بن عبدالله بن أحمد العربي المعافيري الأشبيلي موطناً، كان أبوه من فقهائها ورؤسائها، وقد برع أبو بكر في علوم متنوعه من الفقه والحديث والتفسير ونحوها، وله مؤلفات كثيرة تميز بها منها: تفسير آيات الأحكام، والناسخ والمنسوخ، وعارضة الأحوذي شرح سنن الترمذي، والمسالك في شرح الموطأ، قال عنه: [اجتاز ببلدنا سبتة فكتبت عنه فوائد وناولني كتاب المؤتلف والمختلف للدارقطني، وحدثني بكتاب الإكمال لابن ماكولا، وقرأت عليه مسألة الإيمان اللازمة من تأليفه، وأجازني في جميع رواياته، ولقيته أيضاً بأشبيلية وقرطبة، ومما كتبت عنه مما حدثني به سماعاً:رباعيات البخاري المشهورة بسندها عنه][2].

ثم رحل إلى قرطبة وتلقى العلم عن علمائهم أمثال:

القاضي أبو عبد الله محمد بن حمدين: هو محمد بن علي بن محمد بن عبد العزيز بن حمدين التغلبي، أجلُّ رجال الأندلس وزعيمها في وقته، ومقدَّمُها جلالة ووجاهة وفهماً ونباهة، مع النظر الصحيح في الفقه والأدب البارع، والتقدم في النثر، والنظم تقلد الشورى بقرطبة لأول الدولة المرابطية، ثم ولِيَ قضاء الجماعة بها، لقيته بقرطبة سنة سبع وخمسمائة وصدر سنة ثمان، وجالسته كثيرا، وسمعت منه الموطأ رواية يحي بن يحي الليثي، وقرأت عليه بعض رسائله وردوده على الغزالي، وسمعت بعضها، وسمعت منه كثيراً من كلامه، ورسالته لابن شماخ وأجاز لي سائر رواياته][3].

ابن الصفار: هو يونس بن محمد بن مغيث بن محمد بن يونس بن عبد الله بن محمد ين مغيث الفقيه أبو الحسن، يعرف بابن الصفار،آخر المشايخ بقرطبة ولسانهم وصدرهم وأسند من بقي منهم وشيخ فتواهم وروايتهم في وقته له سماع قديم من جده مغيث بن محمد وغيره، قال القاضي عياض: [قرأت عليه كتاب الأربعين حديثاً للآجري، وحدثني بكتاب المعجم في شيوخ أبي ذرّ، وجالسته كثيراًوسمعت منه

---

[1] **الغنية** (٢٧٩)، وانظر: **أزهار الرياض** ١٥٩/٣.

[2] **الغنية** (٦٦)، وانظر: **أزهار الرياض** ٦٢/٣، **الصلة** ٥٥٨/٢.

[3] انظر: **الغنية** (٤٦)، **أزهار الرياض** ٩٥/٣.

غير شئ، وأفادني فوائد جمّة][1].

ورحل إلى (مرسية) وأخذ العلم عن آخرين منهم:

القاضي الحافظ أبي علي الحسين بن محمد الصدفي: هو [الحسين بن محمد بن فِيُّرة بن حَيُّون بن سكرة الصدفي، أندلسي أصله من سرقسطة، أخذ عن شيوخها ورحل إلى المشرق ومكة، والبصرة، وأخذ عن شيوخهم الحديث والفقه والأصول وعني بالحديث واتسعت روايته ؛ووصل الأندلس ورحل إليه الناس وكثر الآخذون عنه، واستوطن (مرسيَّة) وسمع منه الناس كثيراً وسمع منه من هو في عداد شيوخه، وقد دوّن أخباره وأخبار شيوخه في كتاب المعجم] [2] وكان له أثر واضح في منهج القاضي عياض.

كما أخذ العلم عن شيوخ بطريق الإجازة منهم:

الحافظ أبو علي الحسين بن محمد الغساني المعروف بالجياني: قال عنه: [شيخ الأندلس في وقته وصاحب رحلتهم وأضبط الناس لكتاب، وأتقنهم لرواية، مع الحظ الوافر من الأدب والنسب، والمعرفة بأسماء الرجال، وسعة السماع][3]

أبو عبدالله المازري: قال عنه هو [محمد بن علي بن عمر التميمي، إمام بلاد أفريقية وما ورائها من بلاد المغرب، وآخر المستقلين من شيوخ أفريقية بتحقيق الفقه ورتبة الاجتهاد ودقة النظر][4].

وتلقى عن غيرهم، وقد ذكرهم في كتابه [الغنية] بما يكفي من إعادة ذكرهم هنا.

المبحث الثالث: تلاميذه:

جلس القاضي عياض للمناظرة عليه في(المدونة)، وهو ابن نيف وثلاثين سنة في بلده (سبتة) وصار مقدم فقهاء (سبتة) ثم عين في منصب القضاء، ونقل إلى غرناطة فاجتمع إليه الناس يستمعون منه الكثير، وخاصة كتاب (الشفا)[5].

---

[1] انظر: **الغنية** (٢٢٤)، **سير أعلام النبلاء** ١٧/ ٥٦٩، **المعين في طبقات المحدثين** ١/ ١٢٦.

[2] انظر: **الغنية** (١٢٩)، **قطف الثمر في رفع أسانيد المصنفات** ٣٩/١.

[3] انظر: **الغنية** (١٣٨)، **الوافي بالوفيات** ٢١/١٣، **فهرس ابن عطية** ٩٣/١.

[4] انظر: **الغنية** (٦٥)، **إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون** ١٥٦/٣.

[5] **الشفا بتعرف حقوق المصطفى**، كتاب مطبوع ومحقق لأكثر من مرة في مختلف أنحاء العالم الإسلامي. انظر: **القاضي عياض وجهوده في علمي الحديث رواية ودراية** (٣١٦).

وبعد ما انصرف عن قضاء (غرناطة) مكث في (قرطبة) فأخذ عنه بعض أهلها، وفي ذلك يقول تلميذه ابن بشكوال[1]: [قدم علينا قرطبة فأخذنا عنه بعض ما عنده][2].

وتتلمذ على القاضي عياض كثيرون منهم:

خلف بن عبد الملك بن مسعود بن موسى بن بشكوال، يكنى بأبي القاسم ولد بقرطبة عام (٥١١هـ) تقريباً، لقي القاضي عياض في قرطبة بعد أن رحل عن غرناطة عام (٥٣١هـ)، وقد كان واسع الرواية، شديد العناية بها حجة فيما يرويه ويسنده، له كثير من المصنفات في أنواع مختلفة من العلوم، منها الكتاب المشهور (الغوامض والمبهمات)، و(الفوائد المنتخبة)، وكتاب (الصلة) الذي يعتبر حجة عند علماء الأندلس، توفي عام (٥٩٨هـ)[3].

أحمد بن عبد الرحمن بن الصقر الأنصاري الخزرجي، وكنيته أبو العباس، أصله من سرقسطة، ولد عام (٤٩٢هـ)، وانتقل إلى سبتة ثم إلى فاس وأخيراً استوطن مراكش إلى أن توفي بها عام (٥٦٩هـ)[4].

أبو بكر محمد بن خير بن عمر اللمتوني، الأشبيلي صاحب المشيخة، المعروفة بـ(مشيخة الأشبيلي)، كان مقرئاً مجوداً، ومحدثاً متقناً، أديباً نحوياً لغوياً، توفي عام (٥٧٥هـ)[5].

ومما يلاحظ أن أشهر تلاميذ القاضي عياض هم أهل طبقته، ومعاصروه، ولذلك نجدهم يقاربونه في المرحلة العمرية، ومنهم من أخذ معه عن شيوخه مثل:ابن بشكوال، وابن خير الأشبيلي.

المبحث الرابع: مذهبه الفقهي:

القاضي عياض يتبع المذهب المالكي، وذلك مذهب غالبية أهل المغرب، وكتبه أكبر دليل على ذلك، فهو إن ذكر أقوال علماء المذاهب؛ رجح رأي المالكية على جميع المذاهب، ويصرح بذلك في مقدمة كتاب (ترتيب المدارك) بقوله: [أنه يجب على من عرف مقدار مذهب مالك فليس له العدول عنه إلى غيره][6].

---

[1] تأتي ترجمته.

[2] **الصلة** ٤٠٢/٢.

[3] انظر: **تذكرة الحفاظ** ١٣٣٩/٤، **الديباج المذهب** ١١٤/١.

[4] انظر: **الديباج المذهب** (٤٨)، **الوافي بالوفيات** ١٩١/١٦.

[5] انظر: **تذكرة الحفاظ** ١٣٦٦/٤، **توضيح المشتبه** ١٧٠/١، **معرفة القراء الكبار** ٥٥٢/٢.

[6] انظر: **مقدمة ترتيب المدارك** (٩)، **أنباء الرواة** ٣٦٣/٢، **أزهار الرياض** ١/٣.

المبحث الخامس: مكانته العلمية وثناء العلماء عليه:

للقاضي عياض مكانة كبيرة بن العلماء، ويعد من مشاهير علماء المشرق والمغرب على السواء، وذلك لما اشتهر عنه من حرصه على طلب العلم والاجتهاد في تحصيله،ولما عرف عنه من احترامه وتقديره لمشايخه، وكثرة مجالسته لهم، إلى أن برع أهل زمانه، وفاق أقرانه، وحاز الإجازات من شيوخه، وجلس للتدريس في سن مبكرة، وكان محباً لطلبة العلم، متواضعاً حليماً مبادراً لقضاء حوائجهم، أثنى عليه العلماء قديماً وحديثاً.

ومن عباراتهم في ذلك، ما ذكره الإمام الحافظ السخاوي[1]: [أعرف الناس في وقته بعلوم الحديث والنحو واللغة وكلام العرب وأنسابهم][2].

وقال عنه الإمام أبو الفداء ابن كثير[3]: [كان إماماً في علوم كثيرة، كالفقه واللغة والحديث والأدب وأيام الناس][4].

وقال الحافظ شمس الدين الذهبي[5]: [عالم المغرب أبو الفضل اليَحْصُبِي الحافظ][6].

وقال الحافظ شمس الدين ابن خلكان[7] [هو إمام الحديث في وقته، وأعرف الناس بعلومه، وبالنحو واللغة، وكلام العرب، وأيامهم وأنسابهم].

ومن ثناء علماء عصره، ثناء ابن بشكوال قال عنه: [هو من أهل العلم والتفنن والذكاء والفهم][8].

وقال ابن الأبار[9]: [لا يدرك شأوه، ولا يبلغ مداه في العناية بصناعة الحديث، وتقييد الآثار وخدمة العلم، وحسن التفنن والتصرف الكامل في فهم معانيه، إلى إضلاعه بالأدب،

---

[1] الإمام شمس الدين محمد بن عبدالرحمن السخاوي، صاحب المصنفات الشهيرة منها (فتح المغيث) ت (٩٠٢هـ). انظر: **النورالسافر** ١٨/١.

[2] **فهرس الفهارس** ١٨٤/٢.

[3] هو عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القيسي البصري، صاحب التفسير المشهور بتفسير ابن كثير، وكتاب البداية والنهاية، توفي عام (٧٧٤هـ). انظر: **ذيل طبقات الحفاظ** ٣٦١/١.

[4] **البداية والنهاية** ٥٤/١٢.

[5] هو الحافظ محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، صاحب التصانيف الكثيرة منها تاريخ الإسلام، وتذكرة الحفاظ، (ت٧٤٨هـ). انظر: **طبقات الحفاظ** (٥٢١).

[6] **تذكرة الحفاظ** ٤/ ١٣٠٤.

[7] هو أحمد بن محمد بن إبراهيم ابن خلكان، قاضي القضاة شمس الدين الأربيلي صاحب كتاب وفيات الأعيان، توفي عام (٦٨١هـ).

[8] انظر: **تذكرة الحفاظ** ٤/ ١٣٠٥، **فهرس الفهارس والأثبات** ٧٩٧/٢.

[9] هو الحافظ محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي المعروف بابن الأبار له تصانيف منها: معجم أصحاب الصدفي، (ت٦٥٨هـ) انظر: **فوات الوفيات** ٣٧٤/٢.

وتحققه بالنظم، والنثر ومهاراته، بالفقه وبالجملة، وكان جمال العصر، ومفخر الأفق، وينبوع المعرفة، ومعدن الإفادة، وإذا عدت رجالات المغرب فضلاً عن الأندلس حسب فيهم صدراً][1].

تلك كانت تواصيفهم للقاضي عياض، مما يدل على علو شأنه، وتميزه في علوم متنوعة، مما جعله مصدراً من مصادر العلم، يستقي من ينبوعه كل من أتى بعده، واعتبرت تصانيفه من أهم المصادر في فنونها، فأثرت المكتبة الإسلامية، ونفعت طلبة العلم قديماً وحديثاً.

المبحث السادس: تأثره بمن سبقه وأثره فيمن بعده:

عاش زمن النهضة العلمية في بلاد المغرب والأندلس، وبخاصة مدينة العلوم والعلماء، التي كانت مقصد كثير من طلبة العلم، فكثرت الرحلة إليها، لبلوغ مأربهم من العلم مدينة (سبتة).

فنشأ فيها وتلقى العلم عن شيوخها فتأثر بهم منهم:

الإمام المازري: فقد بلغ من تأثره به أنه يخاطبه بلغة الإمامة، واعتنى بكتبه ومؤلفاته عناية بالغة، فهو عندما شرح صحيح مسلم لم يجسر على تجاوز ما قاله شيخه المازري بل اعتبره الأصل بنى عليه شرحه، وذلك ما صرح به في مقدمة كتابه إكمال المعلم.

القاضي أبو علي الصدفي: تأثر به أيام زيارته لسبتة، وكان القاضي عياض صغير السن، وقد زار القاضي الصدفي (سبتة) مرتين ولم يأخذ منه شيئاً، ولما كبر واخذ في العلوم وبرع وأصبح ذا صيت، همّ بالرحلة إلى الصدفي فترة اختفائه لنبذه خطة القضاء، فانتظر مع المنتظرين حتى خرج القاضي الصدفي من خفائه، فلزمه وكتب عنه وعارض عليه، فأخذ عنه الصحيحين وجامع الترمذي والاستدراكات البخاري ومسلم للدار قطني وكتاب التاريخ للبخاري ورياضة المتعلمين لأبي نعيم وغيرها من أمهات الكتب، فتأثر بمنهجه إذ أصبح يعتمد أولاً على الرواية وفي ذلك قال: [لا أحفظ شيئاً إلا وله عندي إسناد][2]، وقال عنه: [وقد جمعت شيوخه في كتاب المعجم الذي ضمّنته ذكره-أي شيخه الصدفي- وأخباره، وشيوخه وأخبارهم،وهم نحو مائتي شيخ][3].

---

[1] انظر: **فهرس الفهارس** ٧٩٧/٢.

[2] انظر **المعجم في أصحاب الصدفي** (٢٩٥)، **الغنية** (١٢٩-١٣٨).

[3] **الغنية** (١٣٠).

فقد تعلم من شيوخه وتأثر بهم، وتلك سُنّة العلماء فهم يتأثرون بشيوخهم، ويؤثرون في تلاميذهم.

وأما تأثيره فيمن بعده: فقد تأثر به تلاميذه في عصره بل وحتى بعض أقرانه منهم: ابن بشكوال، وأحمد بن الصقر الأنصاري، وأحمد بن عبد الرحمن اللخمي، وغيرهم.

المبحث السابع: مناصبه:

كان القاضي عياض محمود الصفات، اشتهر بالعلم والذكاء، والفطنة والحلم والتواضع، وإقبال الناس عليه وقبولهم له، كان ذلك مدعاة لأن ينصب للقضاء، وقد كان يعتبر القضاء محنة، والإقالة منه منحة إلهية، وذلك ما صرح به في مقدمة كتابه الشفا بقوله: [فبادرت إلى نكت سافرة عن وجه الغرض مؤدياً من ذلك الحق المفترض، اختلسها على استعجال، لما المرء بصدده من شغل البدن والبال، بما قلده من مقاليد المحنة التي ابتلي بها فكادت تشغل عن فرض ونفل ...][1]. وفي مقدمة إكمال المعلم قال: [... إلى أن منّ الله بحل هذه القلادة وزوالها وفرغ البال من عهودها الفادحة وأشغالها فتوجه الأمر وانقطع العذر][2].

فولي القضاء وكان محمود السيرة، فقد أقام الحدود، ونشر العدل، وبنى توسعة مسجد المدينة، كما بنى الرابطة المشهورة في المنيا قرب سبتة، ولي القضاء في بلدته سبتة ستة عشر عاماً، ثم استدعي لقضاء غرناطة ونقل إليها عام أحد وثلاثين وخمسمائة من الهجرة، واستقبله أهل غرناطة استقبالاً حافلاً. وصفه تلميذه عبد الرحمن بن القصير[3] قال: [لما قدم علينا القاضي عياض غرناطة، خرج الناس للقائه وبرزوا تبريزاً ما رأيت لأمير مؤمر مثله، وحرزت أعيان البلد الذين خرجوا إليه ركباناً فنيفوا على مائتي راكب، ومن سواد العامة ما لا يحصى كثرة، وخرجت مع أبي – رحمه الله- في جملة من خرج، فلقينا شخصاً بادي السيادة، مبيناً عن اكتساب المعالي والإفادة ...][4].

---

[1] انظر: **الشفا** ١/٣.

[2] انظر **مقدمة إكمال المعلم** (٧٤) النسخة المطبوعة بتحقيق د/ يحي إسماعيل.

[3] هو عبد الرحمن بن أحمد الأزدي من أهل غرناطة توفي عام ٥٧٦هـ.

[4] انظر **أزهار الرياض** ٣/١١.

وكان مع القضاء يدرس الناس الحديث وكتاب الشفا، واستمر بها عامين ثم صرفه ابن تاشفين من القضاء لأنه ضاق منه، لصده له عن ظلم أهلها، فعاد إلى (سبتة) ومكث بها يدرس نحواً من ست سنوات، وعاد إلى منصب القضاء في (سبتة) عام تسع وثلاثين وخمسمائة، وظل بها حتى أتت دولة الموحدين وكانت له معهم مواقف انتهت بتغريبه عن وطنه (سبتة)، وعين قاضياً بقرية صغيرة ببادية (تادلا)[٥] لمدة ثلاثة أعوام. وقد جمع ابنه محمد النوازل التي قضى فيها في كتاب أسماه (مذاهب الحكام في نوازل الأحكام)[١].

المبحث الثامن: مصنفاته[٢]:

كان القاضي عياض عالِمٌ فقيه محدث مؤرخ وشاعر وأديب وخطيب، وله مؤلفات كثيرة في علوم متنوعة جمعها ابنه في كتاب (التعريف بالقاضي عياض) ومن أهمها:

في الحديث وعلومه: مشارق الأنوار على صحاح الآثار. بغية الرائد بما في حديث أم زرع من الفوائد. الإلماع في ضبط الرواية وتقييد السماع. الغنية. ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك. المعجم في شيوخ ابن أبي سكرة.

في الفقه والأحكام: التنبيهات المستنبطة في شرح مشكلات المدونة الكبرى. مطامح الأفهام في شرح الأحكام. الإعلام بحدود وقواعد الإسلام. نظم البرهان على صحة جزم الآذان. المقاصد الحسان فيما يلزم الإنسان. أجوبة القاضي عياض عما نزل أيام قضائه من نوازل وأحكام. أجوبة القرطبيين. سر السراة في أدب القضاة.

في التاريخ والسيرة النبوية: الشفا بتعريف حقوق المصطفى ﷺ. الفنون الستة في أخبار سبتة. جامع التاريخ.

وفي علوم مختلفة منها: ديوان الخطبة. غنية الكاتب وبغية الطالب في الصدور والترسل. ديوان شعره.

وله مصنفات أُخرى ذكرت في بطون الكتب، ومنها ماهو مخطوط ومنها مطبوع.

---

[١] انظر **مقدمة ابن خلدون** ٦/٢٣٠.

[٢] توجد نسخة مخطوطة منها بمكتبة القصر الملكي بالرباط.

الباب الثاني
أهمية الكتاب ومنهج المصنف

الفصل الأول: أهمية الكتاب:

المبحث الأول: اسم الكتاب وثبوت نسبته إلى مصنفه:

اسمه: (إكمال المعلم بفوائد مسلم)، قال القاضي عياض: [قد اخترت له سمة على وفقه، تشهد بالإنصاف والاعتراف لذي السبق بسبقه، ووسمته بكتاب (إكمال المعلم بفوائد مسلم)][1].

المبحث الثاني: وصف الكتاب والتعريف بمخطوطاته:

بدأ الكتاب بالبسملة والحمد والثناء على الله تعالى، ثم الصلاة والسلام على رسول الله ﷺ ثم بيّن عن سبب تأليفه للكتاب، وذكر مبرراته لشرح الكتاب، ثم ذكر أسانيده لرواية صحيح مسلم، ثم شرح مقدمة الإمام مسلم، وما اشتملت عليه من قواعد واصطلاحات وأصول، ثم بدأ بذكر كتاب الإيمان الذي هو أول كتاب صحيح مسلم وهكذا سرد الكتب والأبواب وشرحها إلى آخرها.

وهو لم يبوب الأحاديث حسب موضوعها، لأن الكتاب في الأصل لم يبوب إلا في بعض الأحيان، وختم كتابه بقوله: [هذا آخر ما جمعناه في شرح مسلم، وتقصيناه، وطالعناه من قول الشارحين، وأحصيناه وأضفناه إليه من نظرنا، وتخريجنا وتوجيهنا، ما هدانا إليه إلا الله ...].

أماكن مخطوطات الكتاب:

توجد مخطوطات للكتاب في أماكن متفرقة، وما توصلتُ إلى معرفة أماكنهن هي كالآتي:

أولاً: خزانة القصر الملكي بالرباط: توجد بها نسخ متعددة تتسم بالجودة منها:

نسخة برقم (٤٠٣٧)، (٨١٩٨)، (٥٦٠٦٩)، (٦٤١١).

ثانياً: خزانة القرويين بفاس وتوجد فيها نسخ بعضها شبه تالف منها:

نسخة برقم (٤٠/١٥٣)، (٤٠/١٥٥)، (٤٠/١٥٤).

ثالثاً: مكتبة الأزهر:

توجد نسخة برقم (١٥٥)١١٤٩، ونسخة برقم (١٨٤١)٢٠٤٣٦.

---

[1] **إكمال المعلم** (مطبوع) ص(٧٣).

رابعاً: معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية بالقاهرة:

نسخة مصورة عن أصل بمكتبة أحمد الثالث بتركيا برقم (٤١٣)، ونسخ أخرى غير كاملة.

خامساً: نسختان في مكتبة الظاهرية بدمشق برقم ١٧ (١١١)، ٢١(٢٤٠).

سادساً: نسخة بتركيا بمكتبة قليج علي باستامبول برقم(٢٤٧).

سابعاً: نسخة بدار الكتب المصرية.

وتوجد نسخ أخرى، وقد يطلع باحث جديد على مواضع لم يذكرها من سبقه.

المبحث الثالث: أسباب تصنيفه للكتاب:

صرح القاضي عياض عن أسباب تصنيفه في مقدمة كتابه بقوله: [فإني عند اجتماع طلبة العلم لديّ، في التفقه في صحيح الإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج، والوقوف على معاني أخباره، والبحث عن أغواره، والكشف عن أسراره، ...] إلى أن قال: [فإن كتاب المعلم لم يكن استجمع له مؤلفه، وإنما هو تعليق ما تضبطه الطلبة من مجالسه، وتتلقفه وَكْدات الأَلِبّاء ...].

وقال: [فكثرت الرغبات في تعليق لما يرتضى من تلك الزيادات والتنبيهات، يضم نثرها ويجمع، والقواطع عن الإجابة تقطع،... فتوجه الأمر وانقطع العذر، وانبعثت همة العبد الفقير بمعونة مولاه وتوفيقه إلى الإجابة... ثم ترددت في عمله، ورأيت أن إفراد كتاب لذلك يقطع عن الكتاب (المُعْلِم) وما ضمَّنه غير موف بالغرض، وإن تأليف كتاب جامع لشرحه لا معنى له، مع ما قد تقرر في (المُعْلِم) من فوائد جمَّة لا تضاهى، ونكت مُتْفَنَّة، وقف عندها حسن التأليف وتناهى، ... فاستتب الرأي بعد استخارة الله تعالى وسلوك سبيل العدل والإنصاف، أن يكون ما يذكر من ذلك كالتذييل لتمامه والصلة لإكمال كلامه، فنبدأ بما قاله – رضي الله عنه – ونضيف إليه ما استتب وتوالى، فإذا جاءت الزيادة فصّلناها بالإضافة إلينا إلى أن ننتهي منها، ثم عطفنا على سوق ما يليه من قوله، ويتطارد الكلام الكلام بيننا نُوباً بقوة الله وحوله][1].

المبحث الرابع: أهمية الكتاب:

أولاً: تنبثق أهمية الكتاب من أنه شرح لأحد أهم كتابين بعد كتاب الله، من مصادر السنة النبوية، وهما صحيح الإمام البخاري و صحيح الإمام مسلم، الذين تلقتهما الأمة بالقبول، وعنيت بشروحهما وتيسيرهما للإستفادة منهما، وإن تفاوتت أراء العلماء في تقديم

[1] انظر: **مقدمة القاضي في إكمال المعلم المطبوع** ص (٧١-٧٥).

أحدهما على الآخر، وعلماء المغرب يقدمون صحيح مسلم على صحيح البخاري، وإكمال المعلم هو شرح لصحيح مسلم، وقد اهتم علماء المغرب بتدريسه وشرحه وتفصيله وصنفت عليه كتب متنوعة كالشرح والتعليق ونحوه.

ثانياً: لم يوجد قبله ولا بعده شرحاً لصحيح مسلم وافياً مفصلاً استجمع ما فيه من قضايا، وبيّن القاضي أن (المعلم) كان تعليقاً على صحيح مسلم، لم يستوفي ما فيه من جوانب كثيرة يحتاج إليها طالب العلم وفوائد جمّة احتواها الكتاب.

ثالثاً: أن المصنف لم يغمط المازري في كتاب (المعلم) بل أثبت فوائده وأضاف إليها ما وجده بحاجة لزيادة شرح أو توضيح أو زيادة فائدة لقوله عن كتاب المعلم [وما ضمنه غير موف بالغرض، فإن تأليف كتاب جامع لشرحه لا معنى له مع ما تقرر في المعلم من فوائد جمّة لا تضاهى، ونكت مُتْقَنَة، وقف عندها حسن التأليف وتناهى....] إلى أن قال: [فاستتب الرأي بعد استخارة الله تعالى وسلوك سبيل العدل والإنصاف، أن يكون ما يذكر من ذلك كالتذييل لتمامه، والصلة لإكمال كلامه، فنبدأ بما قاله – ﷺ – ونضيف إليه ما استتب وتوالى ...].

رابعاً: احتواؤه على جملة من الفوائد والغرائب ومما لا يدركه إلا أهل العلم المتفنن. لقوله [تحريت فيه جهد الصواب، بفضل الله المنعم، فأودعته من الغرائب والعجائب ما لا يعرف قدره إلا كل متفنن بها متهمم].

خامساً: كشف عن أمور وأزال الإبهام عنها: أن القاضي عياض كشف عما جاء في بعض نسخ صحيح مسلم من تبويب وتراجم غابت عن كثير من الشراح الذين تناولوا النسخ غير المبوبة، حتى ذاع بين طلبة العلم وبعض المتخصصين – خطأ – أن مسلماً لم يبوب كتابه وأن البخاري فُضل عليه لذلك، ومثال ذلك ما جاء في كتاب الطهارة، باب التطييب بعد الغسل من الجنابة، قال عقبه القاضي [وبذلك بطل من ادعى أن مسلماً لم يبوب كتابه][1].

سادساً: أنه نقل عن مصادر هامة لم يبق منها غير ما احتفظ بذكره القاضي عياض في كتابه، مثل كتاب (الموعب في شرح الموطأ) ليونس بن مغيث[2]، وكتاب (المطرز في اليواقيت)[3].

---

[1] **إكمال المعلم** ١٦٠/٢ كتاب الطهارة باب التطيب بعد الغسل من الجنابة. هذا الباب ذكره القاضي و لم يذكره النووي وغيره.

[2] يونس بن المغيث هو أبو الوليد بن الصفار من الطبقة الثامنة من الأندلس، انظر: **الديباج المذهب** ٣٦٠/١، **سير أعلام النبلاء** ٨٧/٨، **شرح الزرقاني على الموطأ** ١٨١/١.

[3] لأبي عمر محمد بن عبد الواحد المطرز توفي (٣٤٥هـ)، وكتابه اليواقيت في اللغة. انظر: **فهرسة ابن خير الأشبيلي** ٣١٨/١، **كشف الظنون** ٢٠٥٣/٢.

سابعاً: عنايته بالقضايا الفقهية في الحديث: مثل ما جاء في حديث ابن عمر ﷺ: "وإذ قام من الركعتين رفع يديه" قال: [وذكره أبو داود في حديث أبي حميد الساعدي في عشرة من أصحاب رسول الله ﷺ، وروى عن بعض أهل الحديث الرفع عند السجود والرفع منه، وقد جاءت بذلك آثار لا تثبت، وليس هذا الرفع بواجب ولا شيء منه عند العلماء، إلا أبي داود فأوجبه عند تكبيرة الإحرام، وخالفه بعض أصحابه فلم يوجبوه، وقال بعضهم: هو واجب كله، قال بعض المتكلمين:كان شرع الرفع في أركان الصلاة أولاً علامة للاستسلام، لقرب عهدهم بالجاهلية، والإبانة عن الإسلام، فلما أنسوا بذلك، واطمأنت قلوبهم، خفف عنهم، وأبقى في أول الصلاة علامة على الدخول فيها لمن لا يسمع التكبير][1].

ثامناً: إحاطته بالمذاهب الفقهية، واستجماعه لعلم أصول الفقه، مما ساعده لرد الخلافات الفقهية الواردة في الكتاب إلى أسبابها العلمية ودواعيها[2].

تاسعاً: احتوى فوائد كثيرة في الأصول والرجال واللغة.

عاشراً: جمع فيه كثير من مسائله بين نظره وإجازة أهل التحقيق له.

واحتوى على كثير من الفوائد التي جعلته مصدراً لمن جاء بعده في علوم متنوعة.

المبحث الخامس: منزلة الكتاب من شروح مسلم:

حظي صحيح مسلم بشروح وتعليقات متعددة مختلفة المناهج والأساليب منها:

١) شرح قوام السنة للأصبهاني توفي عام (٥٣٥هـ)[3].

٢) المفهم لما أشكل من تلخيص مسلم لأبي العباس القرطبي، الشهير بابن المزين توفي عام (٦٥٦هـ)، وهو شرح مختصر، رتبه وبوبه ونبه على غريبه وإعرابه[4].

٣) المفهم في شرح غريب مسلم لعبد الغافر الفارسي[5].

٤) تفسير غريب مافي الصحيحين للحميدي[6].

---

[1] **إكمال المعلم** ٢٦١/٢ كتاب الصلاة باب استحباب رفع اليدين حذو المنكبين مع تكبيرة الإحرام.

[2] انظر مسألة طهارة جلود الميتة بالدباغ في **إكمال المعلم** ٢٠٩/٢ كتاب الحيض.

[3] **شذرات الذهب** ١٠٥/٤.

[4] انظر: **شذرات الذهب** ٢٧٤/٥، **نفح الطيب** ٢١١/٢. (مطبوع ومحقق).

[5] عبد الغافر بن إسماعيل الفارسي المتوفي عام (٥٢٩هـ). انظر: **الحطة في ذكر الصحاح الستة** ٢٠٥/١.

[6] لمحمد بن أبي نصر فتوح بن عبدالله الأزدي الحميدي ت عام ٤٨٨هـ.كتابه مطبوع بتحقيقد د/ زبيدة محمد عبد العزيز، ط: الأولى ١٤١٥هـ، دارالنشر: مكتبة السنة، القاهرة.

٥) المنهاج في شرح مسلم بن الحجاج للإمام النووي ت(٦٧٦هـ).
٦) إكمال الإكمال للعلامة الزواوي ت(٧٤٤هـ) جمع فيه بين ما في المعلم وإكماله، وشرح النووي، وزاد فيه فوائد من كلام ابن عبد البر والباجي [٧].
٧) إكمال إكمال المعلم لأبي عبدالله محمد بن خليفة الأُبّي توفي (٨٢٧هـ)، جمع فيه بين ما في المعلم وإكماله، والمفهم وشرح النووي مع زيادات من كلام شيخه ابن عرفة[٨].
٨) الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج للحافظ جلال الدين السيوطي، كتاب مطبوع محقق لأكثر من محقق[٩].
٩) المعلم وهو أول شرح متسم بنوع من البسط والبيان من بين شروح مسلم، إذ كان بعضها شرح لغريب، أو شرح جزء يسير من الكتاب، وبعضها مفقود، فكان المعلم أقدم كتاب أفرد لشرح صحيح مسلم، واعتبر الأساس الذي بنى عليه كل من جاء بعده.
١٠) إكمال المعلم بفوائد مسلم للقاضي عياض توفي (٥٤٤هـ)، سبق ذكر وصف القاضي عياض للمعلم، وذكر ما أضافه على الكتاب من زيادات جعلته بحق أول كتاب مصنف مكتمل، جمع فيه الشوارد من المسائل، والوارد من المستجدات والحوادث، وبهذا امتاز إكمال المعلم عن غيره من شروح مسلم وأصبح مصدراً أساسياً لكل من جاء بعده.

الفصل الثاني: منهج المصنف في الكتاب:

المبحث الأول: منهجه على وجه العموم:

١) الإخلاص في العمل،والأمانة العلمية التي تميز بها، فقد صرح بمنهجه وأنه أبقى كلام شيخه المازري كما هو، وجعله أصلاً، ثم يضيف ما يجده بحاجة لذلك،إلا أنه أحياناً يفسر ما جاء في الحديث أولاً، ثم ينقل كلام المازري، ويترك أحاديث بدون تعليق

[١] كتاب مطبوع مع صحيح مسلم ومعه تكميل إكمال الإكمال للسنوسي.
[٢] انظر: **البدر الطالع** ١٦٩/٢، **شجرة النور** (٣٤٤).
[٣] انظر **شذرات الذهب** ٥١/٨، **الكواكب السائرة** ٢٢٦/١.

ويكتفي بشرح المازري كحديث ((أيما عبد أبق من مواليه)) فالإمام لم يتحدث إلا عن جزء قبول الصلاة، ولذلك بدأ القاضي ببيان معنى الإباق[١].

٢) ذكره لبعض أسانيده للمراجع التي استفاد منها [٢].

٣) تناوله للحديث المختلف المقاصد في أكثر من موضع بحسب مقاصده[٣].

٤) الاختصار في بعض المسائل ويكتفي بالإحالة على كتب أخرى للتفصيل مثل إحالته على كتابه (الشفا) و(التنبيهات السنية) وغيرها من الكتب [٤].

٥) عزو الأقوال إلى أصحابها وذكر مصادرها، وذلك مراعاة للأمانة العلمية، والدقة في التوثيق.

٦) عرض أقوال المخالفين، وتحليلها ودراستها مع الرد عليهم [٥].

٧) الاستفادة من مشايخه في بعض المسائل الغامضة والاستنارة بآرائهم[٦]

٨) التنبيه على السقط والتصحيف أو الخطأ[٧].

٩) الترجيح بين الروايات المختلفة بمقتضى السياق اللغوي مثل حديث: «تعين صانعاً أو تصنع لأخرق» قال القاضي: [روايتنا في هذا الحديث: "ضايعاً" من طريق هشام أولاً: بالضاد المعجمة وبالياء بعد الألف، وكذلك في الحديث الآخر من جميع طرقنا عن مسلم من حديث هشام والزهري، إلا من رواية أبي الفتح الشاشي عن عبد الغافر الفارسي، فإن شيخنا أبا بحر حدثنا عنه فيهما بالصاد المهملة، وهو صواب الكلام لمقابلته بأخرق، وإن كان المعنى من جهة معونة الصانع أيضاً صحيحاً][٨].

١٠) الترجيح بين المسائل الخلافية.

---

[١] انظر: **إكمال المعلم** ١/ ٣٢٧ كتاب الإيمان باب تسمية العبد الآبق.

[٢] ذكر أسانيده إلى صحيح مسلم، انظر: **إكمال المعلم** ١/٣٩،٧٥ من المقدمة.

[٣] انظر **إكمال المعلم** ٢/٤٦ ك:الطهارة باب استحباب إطالة الغرة والتحجيل في الوضوء، ٣/٣٧٠ كتاب الجنائز باب الميت يعذب ببكاء أهله.

[٤] انظر: **إكمال المعلم** ٢/٥٢٥ كتاب المساجد باب سجود التلاوة.

[٥] انظر: **إكمال المعلم** ٢/٤٦٥ كتاب المساجد باب تحريم الكلام في الصلاة.

[٦] كقوله: قال شيخي. انظر: **إكمال المعلم** ١/٥٣٦ كتاب الإيمان باب في قوله عليه السلام (إن الله لا ينام).

[٧] انظر: **إكمال المعلم** ٦/١٥٦كتاب الجهاد بابصلح الحديبية، ٦/١٧٥ كتاب الجهاد باب قتل أبي جهل.١/٥٦٢ كتاب الإيمان باب آخر أهل النار خروجاً.

[٨] انظر: **إكمال المعلم** ١/٢٤٨ كتاب الإيمان، باب بيان كون الإيمان بالله أفضل الأعمال.

١١) التزامه الأدب في مناقشة المخالفين لمذهب مالك.

١٢) التزامه منهجاً واحداً لشرح الحديث، وعدم اللجوء للاختصار المخل أو الإطناب المُمل.

١٣) يختار حديثاً واحداً في الباب، جامعاً شاملاً، ويشرحه شرحاً وافياً، ويذكر ألفاظ الحديث جملة جملة، ويشرحه بما يناسبه.

١٤) الاستفادة من طرقه لصحيح مسلم، ومن نسخ الصحيح المغايرة لنسخته المعتمدة لبيان سبب أو كشف عبارة ونحوه.

المبحث الثاني: منهجه في شرح الحديث:

١) يرجع في شرح الحديث إلى الشرح بالمأثور، ويشمل العزو إلى نصوص القرآن والسنة،،وأقوال الصحابة والتابعين، ويرجع إلى بيان المعنى اللغوي والغريب، ولغة العرب من شعر ونثر، وذلك منهج مطرد في كتابه.

٢) العزو إلى كتب الشروح الأخرى، والاستفادة ممن سبقه في ذلك.

المبحث الثالث: منهجه في مسايرته لموضوعية الحديث:

أن القاضي عياض كان يعمد إلى بيان مقاصد الأحاديث، والتأكيد على القضايا الواردة في الحديث، فما كان في كتاب الإيمان ركز شرحه على مسائل العقيدة، والرد على المخالفين بما يثبت العقيدة الصحيحة، وكذلك في كتب العبادات فهو يركز على مسائل الفقه، وما يتعلق بالجانب العملي من العبادات، ويستخرج الفوائد والفرائد من أحاديث الباب، ويستنبط الأحكام التطبيقية في العبادات، والأخلاق، وجميع الجوانب التربوية والاجتماعية ونحوها.

المبحث الرابع:- منهجه في ذكر علوم الحديث:

➤ منهجه في رواية الأحاديث:

١) التصريح بأقوال مسلم، كقوله:قال مسلم، أو ذكر مسلم ونحوه.

٢) التنبيه على بداية أحاديث الباب، نحو قوله: أحاديث الجمع بين الصلاتين، أو أحاديث صلاة الليل، ونحوه.

٣) يكتفي أحياناً بذكر مضمون جملة الأحاديث المتعلقة بنوع من الأحكام ذكرها مسلم، كقوله: ذكر مسلم أحاديث صلاة العيدين. ونحوها.

٤) اهتمامه بذكر الروايات والألفاظ المختلفة في الأحاديث التي تفيد معنى زائداً، مع عزو الروايات لأصحابها[١].

٥) ذكره لبعض الأحاديث المختصرة في صحيح مسلم[٢].

٦) ذكر الزيادات الواردة في غير صحيح مسلم[٣].

٧) تحريره لألفاظ الروايات المختلفة مع الترجيح[٤].

٨) ذكر اختلاف رواة مسلم في الأسانيد، مع الترجيح[٥].

٩) ذكر الاختلاف في المتن مع الترجيح[٦].

١٠) ذكر الناسخ والمنسوخ من الأحاديث[٧].

١١) ذكره للأحاديث التي سقطت من بعض نسخ مسلم[٨].

١٢) ذكره الاختلاف بين روايات مسلم، واختلاف روايات المسانيد والمصنفات الأخرى[٩].

➤ منهجه في دراية الحديث:

١) لا يخرج أحاديث مسلم إلا للضرورة.

٢) أنه يحكم على الأحاديث وأحياناً يذكر حكم غيره مع التنبيه على الرفع والوقف والضعف في الأحاديث، وفي الآثار نادراً[١٠].

٣) العناية بالضبط في الأسماء والأنساب والكنى والألقاب، وفي المتن وغيره، مع التنبيه على التصحيف والغلط والأوهام[١١].

---

١ انظر: **إكمال المعلم** ١٢/٢ كتاب الطهارة، باب وجوب الطهارة للصلاة.

٢ انظر: **إكمال المعلم** ٥٥٨/٢ كتاب المساجد، باب متى يقوم الناس للصلاة.

٣ انظر: **إكمال المعلم** ٢٤/٢ كتاب الطهارة، باب في وضوء النبي ﷺ.

٤ انظر: **إكمال المعلم** ٢/ ٢٢ كتاب الطهارة، باب ما يقال بعد الوضوء.

٥ انظر: **إكمال المعلم** ٩/٢ كتاب الطهارة، باب فضل الوضوء..

٦ انظر: **إكمال المعلم** ١٦/٢ كتاب الطهارة، باب الوضوء والصلاة عقبه.

٧ انظر: **إكمال المعلم** ٤٤٥/٢ ك: المساجد باب تحويل القبلة.

٨ انظر: **إكمال المعلم** ٦٥٦/٢ ك: المساجد باب استحباب القنوت، ٦٥٤/٦ ك: اللباس والزينة باب تحريم فعل الواصلة.

٩ ا نظر: **إكمال المعلم** ١٢١/٢ ك: الحيض باب مباشرة الحائض فوق الإزار.

١٠ انظر: **إكمال المعلم** ٢٧١/٢ ك: الصلاة باب وجوب قراءة الفاتحة.

١١ انظر: **إكمال المعلم** ٤١٢/٣ ك: الجنائز باب التكبير على الجنازة، ١٥٦/٦ك: الجهاد باب صلح الحديبية.

٤) اهتم بتقييد المهمل، وتمييز المشكل، وتبيين المبهم من الرواة، ومناقشة أقوال السابقين له في ذلك [١].

المبحث الخامس: منهجه في فقه الحديث واستنباطاته:

اهتم بالاستنباط من فقه الحديث في المسائل العقدية والفقهية والأصولية والحديثية ونحوها. ولذا اشتمل كتابه على مصادر لعلوم متنوعة منها:

١) علم اللغة وذلك لذكره للمفردات اللغوية واشتقاقها، والنحو والصرف والاستشهاد بالشعر والنثر[٢].

٢) علم العقيدة، لما ذكر فيه من الكلام على الأسماء والصفات، والرد على الفرق الضالة، وتقرير التوحيد، ومتعلقاته[٣].

٣) التفسير وعلومه، وذلك إذا تناول أحاديث التفسير وأسباب النزول ونحوها[٤].

٤) علوم الحديث وذلك لأن موضوع كتابه شرح للحديث،وقد احتوى صحيح مسلم على قواعد حديثية ونحوها[٥].

٥) علم الفقه وأصوله [٦].

٦) علم التاريخ والمغازي والسير[٧].

٧) علم الطب والتشريح، وذلك في أبواب خلق الإنسان، وكيفية تكوين الذكر والأنثى ونحوها[٨].

٨) علم البحث والمناظرة، وبيان آدابهما[٩].

---

١ انظر: **إكمال المعلم** ٣٥٦/٣ ك: الجنائز باب تلقين الموتى.

٢ انظر: **إكمال المعلم** ٣٩٦/٨ ك: الجنة باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة. وانظر: ٣٦٥/٣ ك: الجنائز باب البكاء على الميت.

٣ انظر: **إكمال المعلم** ٤٠١/٨ ك: الجنة باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار.

٤ انظر: **إكمال المعلم** ٤٧٩/٨ ك: التفسير باب ٥٤.

٥ انظر: **إكمال المعلم** ٨٨/١ -١٩٥ شرح مقدمة مسلم.

٦ انظر: **إكمال المعلم** ٦٧١/٢ ك: المساجد باب قضاء الصلاة الفائتة. وانظر: ٤٣٤/١ ك: الإيمان باب وعيد من اقتطع حق مسلم بيمين فاجرة بالنار.

٧ انظر: **إكمال المعلم** ١١٧/٦ ك: الجهاد باب كتاب النبي ﷺ إلى هرقل يدعوه للإسلام.

٨ انظر: **إكمال المعلم** ١٢٣/٨ ك: القدر باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته.

٩ انظر: **إكمال المعلم** ١٣٧/٨ ك: القدر باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام.

٩) علم البلاغة والبيان، بذكر ما آتاه الله لنبيه ﷺ من جوامع الكلم، والبيان في التعليم والفصاحة في البيان[١].

المبحث السادس: منهجه في العزو إلى المصادر:

اعتمد القاضي عياض على مصادر كثيرة، في علوم مختلفة، وذلك منهج التصنيف العلمي الدقيق الموثق، حيث أنه غستفاد من عِلم من قبله، ومن عاش عصره، فكان يعزو الأقوال إلى أصحابها إما بذكر إسمه، أو بذكر كتابه، وإن لم يجد استفاد من شيوخه في عصره، لذا فإن كتابه بحسب موضوعه شرح للحديث، فقد احتوى جملة من المصادر منها ما يعتبر اليوم مفقوداً، وليس من ذكر لها إلا ما ذكره عياض في كتابه.

فهذا الكتاب [إكمال المعلم] يعتبر موسوعة في شرح صحيح مسلم، لما احتواه من فوائد جمّة، شهد بها كل من اطّلع عليه، واستفاد منه وكل من تصدى لشرح الحديث ممن جاء بعده، مثل الإمام النووي، والحافظ ابن حجر وغيرهم، إذ كانوا يستشهدون بأقواله، بقولهم:قال عياض.

المبحث السابع: مصادره في الكتاب:

أولاً: المصادر الشفهية، وهي موجودة بأسماء أصحابها في ثنايا الكتاب وذلك حين يسألهم عن أمر أشكل عليه في أي فن من الفنون، فيجيبونه مشافهة، أو قد يكون استفاد من أقوالهم من غير كتاب، وذلك ما يظهر من محاورته للمخالفين في المسائل العقائدية، وأصحاب الفرق، والرد عليهم[١].

ثانياً: المصادر المكتوبة:

١) كتب التفسير وعلوم القرآن: منها:

جامع البيان عن تأويل آي القرآن لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري. معاني القرآن للنحاس. معاني القرآن للفراء. الهداية إلى بلوغ النهاية لأبي محمد مكي بن أبي طالب المقرئ.

٢) كتب السنة وشروحها:

الكتب السته في الحديث، المسانيد والمصنفات، وكتب الأطراف، والمستخرجات، والملخصات والشمائل وغيرها، ومشكل الحديث وغريبه، وتصحيفات المحدثين، وأكثر مصادره

[١] انظر: **إكمال المعلم** ٤٤٠/٢ ك: المساجد باب ابتناء مسجد الرسول ﷺ.

[٢] انظر: **إكمال المعلم** ٦٠٦/٣ ك: الزكاة باب الخوارج وصفاتهم. ٤٠٣/١ ك: الإيمان باب الدليل على أن قاتل نفسه لا يكفر.

في شروح الحديث للمالكية ومن ذلك: شرح ابن بطال لصحيح البخاري. شرح المهلب بن أبي صفرة. شرح الداودي للبخاري والموطأ. وشروح الموطأ: لابن المرابط، والتمهيد وكتاب الاستذكار لابن عبد البر، وشرح ابن العربي، والمنتقى لابن الباجي، وغيرها. وشروح الكتب السته منها: أعلام الحديث، ومعالم السنن، وغريب الحديث، وشأن الدعاء للخطابي. غريب الحديث، والمصنف لأبي عبيد. وغريب الحديث للحربي، والغريبين للهروي، وغريب ما في الصحيحين للحميدي، وغيرهم. وكتب علوم الحديث:كتب العلل والمراسيل، والمؤتلف والمختلف، وكتب الصحابة والرجال وأحوالهم، وكتب الثقات والضعفاء والطبقات والكنى والقبائل والأنساب منها على سبيل المثال: مؤلفات الدارقطني، التتبع والالزامات، والعلل، ولعبد الغني بن سعيد ككتاب المؤتلف والمختلف ن وتقييد المهمل للغساني وغيرهم.

٣) كتب التاريخ والسير:

طبقات ابن سعد. شرف المصطفى للخركوشي. السيرة للزبير ابن بكار. الشفا في حقوق المصطفى – للمصنف – القاضي عياض.

٤) مصادره في الفقه وأصوله:

رجع إلى مصادر كثيرة في الفقه ليبين الأحكام الفقهية في الحديث، ورجع إلى كتب فقه في المذاهب الأربعة، وكتب اختلاف العلماء للطحاوي، وللطبري،وغيرها وبما أنه يرجح غالباً المذهب المالكي فقد رجع إلى كتبهم وإلى شيوخه في عصره كثيراً.

٥) كتب اللغة والأدب:

معجم مقاييس اللغة لابن فارس، وجمهرة اللغة لابن دريد، كتب ابن السكيت، والقالي، وأبي عمرو الشيباني، والأزهري في تهذيب اللغة ونحوهم.

المبحث الثامن: أثر إكمال المعلم في مصنفات من جاء بعده:

اعتمد عليه كل من جاء بعده، وذلك لاحتواءه على مادة علمية غزيرة، موثقة من مصادرها الأصيلة ن ولما عرف عن القاضي من أمانة علمية، وباع طويل في علوم مختلفة، عُد كتابه من المصادر الرئيسة لمن أراد شرح الحديث، سواء كان شرحاً كاملاً، أو موضوعياً، مثال ذلك:

١) كتاب (المفهم لما أشكل من صحيح مسلم) لأبي العباس القرطبي، نقل كثيراً من الإكمال، بل ويُعد مختصراً لإكمال المعلم.

٢) كتاب (صيانة صحيح مسلم من الإخلال والغلط) للحافظ ابن الصلاح، نقل كثيراً من إكمال المعلم.

٣) شرح النووي المسمى (المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج) للإمام النووي هو من أشهر شروح مسلم وأكثرها تداولاً بين أيدي الناس،فقد استقى كثيراً من إكمال المعلم، وعزا أقواله إليه، بقوله: قال القاضي.

٤) كتاب (إكمال إكمال المعلم) للأُبّي والسنوسي، هو مختصر من إكمال المعلم، ويعد حاشية له.

٥) كتاب (فتح الباري شرح صحيح البخاري) لابن حجر، و(عمدة القارئ شرح صحيح البخاري) للعيني،وغيرهم فقد استشهدوا بكلام القاضي عياض، بل كان ترجيحهم للأقوال يقف عند ترجيح كلام القاضي عياض. فهو بمثابة الحَكم وقول الفصل في الاختلافات.

الخاتمـــــة:

الحمد لله الذي مَنّ علي بموضوع يتعلق بصحيح مسلم،وهو من أجلّ كتب الحديث وأعظمها، ومن خلال البحث غصت في أعماق شرح كبير كشرح القاضي عياض، ونهلت من جواهر أعماقه فوائد عظيمة منها:

١) أن علم الحديث من أجلّ العلوم وأعظمها، ومن يبحث فيه يخرج بخير عظيم أوله معايشة أحاديث رسول الله ﷺ.

٢) أن عصر المصنف يؤثر على المصنف لما للبيئة من أثر على الفرد والقاضي عياض عاصر المرابطين، والموحدين، وكلتاهما دعوات إصلاحية للمجتمع، وإن اختلفت في أسسها ومنهجها إلا أنها كانت تعتد بالعلماء وتجعل لهم مكانة عالية في المجتمع.

٣) أن العمل يشغل العالِم عن علمه، ولذا اعتبر القاضي عياض عمله في القضاء محنة، وعندما فرغ من مسؤليته اعتبره منحه من الله.

٤) القاضي عياض نشأ في بيئة علمية، فأحب العلم منذ طفولته وترعرع بين العلماء،وحضر مجالسهم، ورحل إليهم ليسمع منهم ويأخذ الإجازة لنقل علومهم.

٥) أن القاضي عياض تميز بقوة حافظة، وقدرة فائقة على التأليف مما جعله أهلاً ليجلس للتدريس والفتيا في سن مبكرة، وأن يكون له مصنفات عديدة في علوم متنوعة.

٦) أن القاضي عياض حظي بثقة الناس لما تميز به من علم وحكمة، وحسن خلق،وحلم وتواضع، وذكاء وفطنة، فجلس للقضاء فترة طويلة،في بلده (سبتة) ومن ثَم طلبه أهل (غرناطة)، فاستقبلوه استقبالاً حافلاً.

٧) تميزت أمة محمد ﷺ في نقل سنة نبيها بالإسناد.

٨) أفاد القاضي عياض برواياته لصحيح مسلم فوائد كثيرة منها، تصحيح الغلط، والتصحيف والزيادات التي توضح ما أبهم ونحوها.

٩) المنهج العلمي الدقيق الذي اتبعه المصنف.

١٠) توثيق الأقوال بذكر مصادرها،إما باسم قائلها أو ذكر اسم المُصَنَّف.

١١) توثيق كل علم بالرجوع إلى مصادره الأصيلة،كالحديث واللغة والنحو والأدب والغريب والفقه والتاريخ ونحوه.

١٢) أدب الخلاف، والأسلوب العلمي للرد عليهم، وذلك ما ظهر من خلال مناقشته للمخالفين.

١٣) التعليق على أقوال العلماء، وإبداء الحجة والدليل، وإن كان من كلام شيخه المازري.

فهرس المراجع والمصادر

القرآن الكريم.

الإحاطة في أخبار غرناطة، لسان الدين الخطيب، ط: الأولى ١٣٩٧هـ مكتبة الخانجي، القاهرة، تحقيق: محمد عبد الله عنان.

أزهار الرياض في أخبار عياض، شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني، ط: صندوق إحياء التراث الإسلامي المشترك بين المملكة المغربية والإمارات العربية المتحدة.

الاستقصاء لأخبار دولة المغرب الأقصى، أحمد بن خالد الناصري، ط: القاهرة (١٣١٢هـ).

إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض بن موسى بن عياض اليحصبي ت (٥٤٤هـ)، ط: الأولى ١٤١٩هـ/١٩٩٨م، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، ج.م.ع. المنصورة.

اللباب في تهذيب الأنساب، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد الشيباني الجزري، ط: دار صادر بيروت ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.

أنباه **الرواة على أنباه النحاة**، الوزير جمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف القفطي، ط: دار الكتب المصرية، القاهرة ١٣٧١هـ/١٩٥٢م، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم.

ايضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون، إسماعيل باشا بن محمد أمين بن مير سليم البابانى البغدادي، ط: دار الكتب العلمية، بيروت١٤٢٣هـ/١٩٩٢م.

البداية والنهاية، الحافظ أبو الفدا ابن كثير، ت ٧٧٤هـ، ط: الأولى بيروت ١٩٦٦م.

البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن العاشر، للعلامة محمد بن علي الشوكاني ت ١٢٥٠هـ، ط: دار المعرفة، بيروت.

تاريخ الإسلام، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ت ٧٤٨هـ، ط: الأولى ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، دار الكتاب العربي لبنان، بيروت، تحقيق: د/ عمر عبد السلام تدمري.

تاريخ الخلفاء للحافظ جلال الدين السيوطي ت ٩١١هـ، ط: الأولى ١٣٧٦هـ/١٩٥٢م، مطبعة السعادة، مصر، تحقيق: محمد الحميد.

تذكرة الحفاظ، الحافظ شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي ت ٧٤٨هـ، ط: الأولى دار الكتب العلمية بيروت.

ترتيب المدارك وتقريب الممسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، أبي الفضل القاضي عياض اليحصبي ت ٥٤٤هـ، ط: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م.

التعريف بالقاضي عياض محمد بن عياض اليحصبي، مخطوط مصور بمعهد المخطوطات بجامعة الدول العربية، وبالخزانة العامة بالرباط. ومطبوع بتحقيق د/محمد بن شريفة، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب، ط: الثانية ١٤٠٢هـ١٩٨٢م.

توضيح المشتبه، للشمس بن ناصر الدين محمد بن عبد الله بن محمد بن القيسي الدمشقي ت ٨٤٢هـ، ط: الأولى ١٩٩٣م، مؤسسة الرسالة بيروت، تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي.

الحطة في ذكر الصحاح الستة، أبو الطيب السيد صديق حسن القنوجي ت ١٣٠٧هـ، ط: الأولى ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م.

الديباج المذهب، إبراهيم بن علي بن محمد بن فرحون العميري المالكي، ط: دار الكتب العلمية، بيروت.

الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني ت ٥٤٢هـ، ط: ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م دار الثقافة بيروت، تحقيق: إحسان عباس.

ذيل طبقات الحفاظ، الحافظ جلال الدين السيوطي ت ٩١١هـ، ط: دار الكتب العلمية بيروت.

الزهر النضر في أخبار الخضر، الحافظ أحمد بن حجر العسقلاني ت ٨٥٢هـ، ط: الأولى (١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، مجمع البحوث الإسلامية.

سنن أبي داوود، أبي داود سليمان بن أشعث السجستاني ت ٢٧٥هـ، ضبط أحاديثه: محمد محي الدين عبد الحميد ط: دار إحياء السنة النبوية بيروت.

سير أعلام النبلاء، الحافظ شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي ت ٧٤٨هـ، ط: التاسعة ١٤١٣هـ، مؤسسة الرسالة بيروت، تحقيق: شعيب الأرناؤط ومحمد العرقسوسي.

شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، محمد بن محمد مخلوف، ط: الأولى ١٣٤٩هـ، دار الكتاب العربي، بيروت.

شذرات الذهب، ابن العماد، عبد الحي أحمد بن محمد الحنبلي ت ١٠٨٩هـ، ط: الأولى ١٤٠٦هـ، دار ابن كثير، تحقيق عبد القادر الأرناؤط، محمود الأرناؤط.

شرح الزرقاني على الموطأ، محمد بن عبد الباقي بن يوسف الزرقاني ت ١١٢٢هـ، ط: الأولى ١٤١١هـ، دار الكتب العلمية بيروت.

الشفا بتعرف حقوق المصطفى، القاضي عياض اليحصبي ت ٥٤٤هـ، ط: الثانية ١٤٠٧هـ، مؤسسة علوم القرآن عمان، تحقيق: محمد الرفاعي، نور الدين قرة، عبد الفتاح سيد، جمال الدين السيروان.

الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدثيهم وأدبائهم، أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال، ط: ١٣٧٤هـ/١٩٥٥م، القاهرة.

طبقات الحفاظ الحافظ جلال الدين السيوطي ت ٩١١هـ، ط: ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م القاهرة.

عصر المرابطين والموحدينفي المغرب والأندلس، محمد عبد الله عنان، ط: الأولى ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٤م، القاهرة.

الغنية بتحقيق: ماهر زهير جرار طبعة دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

الفتح الرباني بترتيب مسند أحمد بن حنبل مع مختصر شرحه بلوغ الأماني من أسرار الفتح الرباني، أحمد عبد الرحمن البنا، ط: دارالحديث القاهرة.

فهرس ابن عطية الإمام القاضي أبي محمد بن عطية المحاربي الأندلسي ت ٥٤١ هـ، ط: الثانية ١٩٨٣م، دار الغرب الإسلامي بيروت، تحقيق: محمد أبو الأجفان، محمد الزاهي.

فهرس **الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمسلسلات**، عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني، ط: الثانية ١٤٠٢هـ/١٩٨٣م، دار العربي الإسلامي بيروت. تحقيق: د/أسامة عباس.

فهرسة ابن خير الأشبيلي، أبو بكر محمد بن خير بن عمر بن خليفة الأموي ت ٥٧٥هـ، ط: الأولى ١٤١٩هـ/١٩٩٨م، دار الكتب العلمية بيروت، تحقيق: محمد فؤاد منصور.

فوات الوفيات، محمد بن شاكر بن أحمد الكتبي ت ٨٦٤هنطكالأولى ٢٠٠٠م، دار الكتب العلمية بيروت. تحقيق: علي محمد بن يعوض الله، عادل أحمد عبد الموجود.

القاضي عياض وجهوده في علمي الحديث رواية ودراية، أ.د/ البشير علي أحمد الترابي، ط: الأولى ١٤١٨هـ، ١٩٩٧م، دار ابن حزم بيروت.

قطف الثمر في رفع أسانيد المصنفات، صلاح بن محمد الغلاني ت ١٢١٨هـ، ط: الأولى ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م، دار الشروق مكة، تحقيق: عامر حسن صبري.

كشف الظنون، حاجي خليفة مصطفى بن عبد الله القسطنطيني الرومي الحنفي ت ١٠٦٧هـ، ط: ١٤١٣هـ/١٩٩٢م، دار الكتب العلمية بيروت.

الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة، نجم الدين محمد بن محمد الغزي ت ١١٠٦هـ، ط: الأولى ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م، دار الكتب العلمية بيروت.

اللباب في تهذيب الأنساب، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد الشيباني الجزري ط: ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م، دار صادر بيروت.

لوامع الأنوار البهية، محمد بن أحمد السفاريني الأثري الحنبلي.ط: بدون.
مسند أحمد بن حنبل، ت ٢٤١هـ، ط: الأولى ١٤١٩هـ/١٩٩٨م، عالم الكتب بيروت، حققه وضبط نصوصه: السيد أبو المعاطي، أحمد عبد الرزاق، أيمن إبراهيم، إبراهيم النوري، محمود خليل.
المعجب في تلخيص أخبار المغرب، عبد الواحد المراكشي ت ٦٤٧هـ، ط: ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية.
معجم البلدان، ياقوت بن عبد الله الحموي أبو عبد الله، ط: الثانية ١٩٩٥م، دار صادر بيروت.
المعجم في أصحاب أبي علي الصدفي، محمد بن أبي بكر القضاعي المعروف بابن الأبار ت ٦٥٨هـ، ط: ١٨٨٥م مجريط.
معرفة القراء الكبار، الحافظ شمس الدين الذهبي ت٧٤٨هـ، ط: الأولى ١٤٠٤هـ، مؤسسة الرسالة بيروت، تحقيق: بشار عواد معروف، شعيب الأرناؤوط، مهدي عباس.
المعين في طبقات المحدثين، الحافظ شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي ت ٧٤٨هـ، ط: الأولى ١٤٠٤هـ، دار الفرقان، عمان، الأردن، تحقيق: د/ همام عبد الرحيم سعيد.
مقدمة ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي، ط: الخامسة ١٩٨٤م، دار القلم، بيروت.
الملل والنحل، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، ت ٤٦٣هـ، المكتبة الفيصلية مكة، تحقيق: محمد كيلاني.
المهدي ابن تومرت، أبو عبد الله محمد بن عبد الله المغربي السوسي، حياته، وأراؤه، وثورته الفكرية، والاجتماعية وأثره بالمغرب، النجار عبد الحميد، ط: الأولى، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، دار الغرب الإسلامي، بيروت.
الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة. ط: الندوة العالمية للشباب الإسلامي.
النجوم **الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغزي بردي الأتابكي ت ٨٧٤هـ، ط: ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م ندار الكتب المصرية.
نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكرى ذي الوزارتين لسان الدين الخطيب، للشيخ الأديب أحمد بن محمد المقري ت ١٠٤١هت، ط: الأولى ١٣٦٧هـ/١٩٤٩م، دار السعادة بالقاهرة.

النور السافر، عبد القادر بن شيخ بن عبد الله العيدروسي ت ١٠٢٧هـ، ط: الأولى ١٤٠٥هـ، دار الكتب بيروت.

هدية العارفين لأسماء المصنفين، إسماعيل باشا البغدادي، ط: ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، دار الفكر بيروت.

الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن آيبك الصفدي، ط: ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، دار إحياء التراث، بيروت، تحقيق: أحمد الأرناؤط، تركي مصطفى.

وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أبو العباس شمس الدين ابن خلكان ت ٦٨١هـ، ط: ١٣٩٨هـ، دار صادر بيروت.